كلمة البروفسور الأب سليم دكّاش اليسوعيّ،
رئيس جامعة القدّيس يوسف،
في حفل تخريج طلاّب الكليّات المحتفلة بمئوياتها،
بحضور فخامة رئيس الجمهوريّة العماد ميشال سليمان،
يوم السبت، الواقع في ٢٠ تمّوز ٢٠١٣.

حضرة فخامة الرئيس العماد ميشال سليمان المحترم،

يشرّفنا ويسعدنا أن نرحّب بكم ضيفًا عزيزًا وأن تكونوا بيننا ومعنا في هذا الحرم، حَرَم العلوم الطبيّة، في عيده المائة إذ تمّ تشييده في السنة ١٩١٣ وأن ترأسوا اليوم احتفال تخريج طلاّب كليّة الطب في عيدها الثلاثين بعد المئة، وطلاّب كليّة الحقوق والعلوم السياسيّة وكليّة الهندسة في عيديهما المئة. فنقدّر حقّ التقدير هذه الالتفاتة الكريمة من جانبكم، حيث تكرّمتم في الثامن عشر من شهر نيسان برئاسة احتفال كليّة الحقوق وها أنتم اليوم تعبّرون عن عاطفتكم تجاه هذه الجامعة التي نذرت نفسها لخدمة لبنان الوطن والدولة، فنتبيّن في شخصكم الكريم رجل الدولة الذي يعرف دور المؤسّسات الثقافيّة والأكاديميّة في بناء الوطن وبناء شخصيّة الفرد والمواطن، وتشييد منظومة الرساميل البشريّة الكفؤة القادرة التي جعل منها لبنان ميزةً من ميزات وجوده وهويّته ورسالته منذ الجزء الأخير من القرن التاسع عشر وحتّى اليوم. وجودكم فخامة الرئيس نرى فيه تحيّة إلى الزخم التربوي الذي ما فتئ عاملاً من دون انقطاع وبالرغم من الحروب في خدمة القضيّة اللبنانيّة وهو تحيّة إلى الرسالة الوطنيّة والاجتماعيّة والروحيّة التي حملتها وتحملها مؤسّساتنا التربويّة التي هي ذات منفعة عموميّة والتي لا همّ لها سوى الخدمة التربويّة والتي أثبتت لنفسها ولمحيطها إنّها مؤسّسات جديرة بأن تحمل صفة الوطنيّة.

أصحاب المعالي والسعادة، حضرات المسؤولين،

أيّها الطلاّب المتخرّجون في كليّة الطب المئة والثلاثين،

أيّها الطلاّب المتخرّجون في عيد كليّة الحقوق والعلوم السياسيّة ويا أيّها الطلاّب المتخرّجون في كليّة الهندسة المئة،

أيّها الحضور الكريم،

عندما نعود إلى تاريخ الجامعة وكليّاتنا، إنّما نعود إلى تراثنا الغني وإلى ذاكرتها الزاخرة بمئات الأسماء والوجوه الخيّرة والكثيرة من الإنجازات المعروفة والمغمورة. هي الوجوه التي أسّست ودعّمت الأساسات، وهي الوجوه التي علّمت وفقًا لقواعد الجودة والامتياز، هي الوجوه التي أعادت الإعمار مرّة تلو المرّة ولم تنحنِ أمام الويلات والصعوبات، إنّما أرادت أن يكون جبين لبنان مرفوعًا ، لبنان العلم والثقافة. هذه الوجوه كلُّها من يسوعيّين وعلمانيّين، لبنانيّين وفرنسيّين وغيرهم من الجنسيّات، أسّست وأعادت التأسيس لأنّها آمنت منذ ١٠٠ سنة وأكثر بهذه البلاد ورأت في مستقبلها، مستقبلاً رائعًا مزدهرًا وهكذا كان. فأين هو إيماننا بهذا الوطن وقدره بالنسبة إلى إيمان الأقدمين المؤسّسين الذين جاؤوا عبر البحار لأنّهم آمنوا بنا وبقدرتنا في الإسهام بالحضارة، حضارة القِيَم الروحيّة والإنسانيّة. فأقلّ الأمانة اليوم أن نكون نحن أيضًا مؤمنين بهذا الوطن وبهذا البلد وأن يكون الرجاء بالغدّ الواعد طريقًا لنا وأن يكون الالتزام اليومي عبر محبَّة العلم والنهوض بالإنسان هدفًا لنا لا ننساه.

أيّها الطلاّب،

أودّ أن أضع بين أيديكم وأنتم تغادرون هذا البيت الذي جعلتموه بيتكم والذي سيستمرّ بيتكم أن أضع ثلاث كلمات :

١. لا يقاس تاريخ جامعتنا بالأعوام أو بالعموميّات، بل يُقاس بقيمة كلّ واحد منكم وبما يحمله من معرفة وأخلاق ومحبّة وثقة بالذات وبالآخرين. قيمة الجامعة اليسوعيّة تكمن في إرادة خرّيجيها اليوم كما بالأمس، بالأمس القريب وبالماضي البعيد، بأن يخدموا مجتمعهم داخل الوطن أو المجتمعات التي سيكونون قاطنين عاملين فيها. قيمة السنوات المائة والثلاثين والأعوام المئة ثلاث مرّات، مرّةً للحقوق ومرّة للهندسة، ومرّة أخرى لهذا الحرم المئويّ، قيمة تلك الأعوام نراها مشعّة في قدرة الخرّيجين ينشرون رسالة الجامعة في الحقّ والحريّة والكفاءة والخدمة في العالم القريب والواسع. فما معنى أن نقول اليوم مع البابا الراحل يوحنا بولس الثاني إنّ لبنان هو أكبر من وطن، هو رسالة حريّة وتعدّديّة، إن لم تكن الجامعة مقتنعة بهذا الكلام وإن لم تجعله شعارًا عمليًّا لها، حاضرًا في برامجها ومساراتها. وما معنى أن نردّد هذا الشعار إن لم تكونوا أنتم الخرّيجين قد تدرّبتم على هذه الرسالة وأن تحملوها كما المتخرّجون السابقون في الدورات السابقة شعلةَ أمل ورجاء لشعبكم ولشعوب هذه المنطقة. فالتعليم العالي ذو الجودة هو الذي أعطاكم كما أعطى الأجيال السابقة قوّة المقاومة الروحيّة والثقافيّة والرؤية الإيجابيّة، فيصبح المتخرّج الجامعي خميرة التغيير واعادة بناء المجتمع اللبناني.

٢. ومن ذاكرتنا أيّها الأصدقاء، وأيّها الطلاّب المتخرّجون، وهذه الثانية من كلمتي لكم أيّها الأحبّاء، إنّكم لا تستطيعون أن تجمعوا في وقت واحد المجد والاجتهاد. فما يعلّمه لنا الأقدمون من آباء يسوعيّين وأساتذة علمانيّين وكذلك من طلاّب متخرّجين مجلّين أنّ الاجتهاد الفردي والجماعي والصبر في حبّ العلم والبحث العلمي واكتساب المعارف هو أنّ لا نجاح حقيقيًّا وواهبًا للسعادة والفرح إلاّ عبر الاجتهاد والسعي المتواصل والعمل على استخراج كنوز الابداع والابتكار من باطن ذواتنا. وللأسف، ينحو عالمُ اليوم وكذلك مجتمعنا اللبنانيّ إلى تحقيق النجاح السريع الذي يضرب بعرض الحائط بقِيَم أساسيّة مثل الصدق والالتزام الخلقي في التعامل مع الآخرين واستقامة العلاقات الإنسانيّة للوصول إلى مآرب نفعيّة أنانيّة. فالاجتهاد والعمل الجاد المثابر من شأنه أن يصنع شخصيّة فذّة محبّبة جدّيّة فيها الكثير من صفات القيادة الإيجابيّة. ومن شأن هذا الاجتهاد المستمرّ بعد الجامعة وفي الحياة المهنيّة أن يوسّع الآفاق وأن يحضّر نفوسكم لمواجهة التحدّيّات الكثيرة وخصوصًا الحسد والغيرة. فاعطوا هذا الاجتهاد ومهنتكم المستقبليّة جرعة قوّة من الحبّ، واعرفوا أنّ المهنة لا تعني المال فقط أو الوجاهة الاجتماعيّة، والمهنة التي تمارس من دون محبّة وعطف ومن دون احترام كرامة الانسان وتجدّد وتجديد للكفايات والمهارات إنّما تصبح مجرّدة من الإنسانيّة وتقود إلى الاستقواء والتسلّط والصراعات وبالتالي إلى الحزن الداخلي وإلى التعاسة.

أيّها الطلاّب المتخرّجون الأطبّاء والحقوقيّون والمهندسون،

٣. لقد برهنت الأيّام في هذه الجامعة كمؤسّسة تربويّة أنّ مكانة الطالب فيها هي نقيض لصورة المستهلِك للمعارف والمكتسب لها كما لو أنّه شاريًا لها وكفى. لقد

رأينا دومًا في طلاّبنا، في الزمن القديم وفي الزمن الحديث، إنسانًا يتعلّم الحريّة والمسؤوليّة ويسعى إلى الكمال في الفهم والحكمة والتمييز والإصابة في الأحكام والآراء. لقد رأينا فيكم أفرادًا تستطيعون أن تكونوا مواطنين محافظين على واجباتكم ومريدين لحقوقكم. لقد وجدنا فيكم طلاّبًا يريدون أن يمارسوا فضيلة الديموقراطيّة وحسن الاختيار بالرغم من الضغوط الخارجيّة، السياسيّة منها أو الطائفيّة، طلاّبًا يريدون الدفاع مع من هم أكبر منكم عمرًا عن المواطنة والصيغة اللبنانيّة ولبنانيّة اللبنانيّين، عن القِيَم اللبنانيّة الإنسانيّة والاجتماعيّة منها والروحيّة، كاحترام المقدّسات والآخر والالتفاف حول الله الواحد المحبّ الغفور والأمين لحبّه، يعلّمنا المغفرة والمصالحة، والحوار والتسامح والاحترام المتبادل والكرامة البشريّة. ومن القِيَم التي لا بدّ أن ننقلها من حيِّز المجرَّد إلى حيِّز التنفيذ، حسن العدالة بين البشر وخصوصًا بين اللبنانيّين، محبّة المواطنة التي تجعل من الجميع سواسية، والتواضع بدل الاستكبار والاستقواء على الاخر.

أيّها الأحبّاء،

٤.لا تنسوا أنّ الطبيب يأخذ الشهادة ليعتني بالصحّة وإنّ المحامي ليحامي ويحافظ على الإنسان والمهندس ليَبنيَ المدينة. وإنّها وظائف أساسيّة إجتماعيّة هي قمّة الوظائف ذات الحسّ الإنسانيّ العميق.

كان بالأمس همّ المتخرّجون الأُول من جامعتنا لمئة سنة ونيف أن يقوموا بتنظيم المدينة والحاضرة والوطن تنظيمًا حديثًا على مختلف المستويات، وقد نجحوا في ذلك أيّما نجاح. وأوجّه إليكم السؤال اليوم أيّها الأحبّاء : وأنتم ما هو همّكم؟ ما هو قصدكم وعلى خطى من سائرون؟ أيّها الأعزّاء الطلاّب المتخرّجون، لا مفرّ لكم من

أن تبقوا على خطّ "الطبيّة" ومدرسة الطبّ الفرنسيّة و"حقوق هوڤلان"، هذه الكليّة التي هي وريثة مدرسة بيروت أمّ الشرائع من القرن الثالث ميلادي و"الإيزيب" أيّ كليّة الهندسة التي يشهد لها القاصي والداني بطول باعها وخبرة مهندسيها. تابعوا أيّها القدامى الجدد مسيرة الأقدمين بعيون متجدّدة وطرق حديثة إنّما بالقلب والفكر والعزيمة ذاتها، كونوا أولئك المتخرّجين المحبّين لأمّهم العقليّة والعاطفيّة التي شربوا من حليب علمها وتغذّوا من لبن حكمتها، فجامعتكم بما تمثّله هي عنصر أساس من العناصر المكوّنة اليوم وغدًا لهويّة كلّ واحد منكم، فالانتماء إليها وإلى جماعة المتخرّجين هو فعلُ قوّة للبقاء وللوحدة وللبناء المستديم.

فالتهاني من العقل والقلب لكم ولأهلكم الذين يحيطون بكم فخورين فرحين وللمسؤولين الأكاديميّين وللأساتذة الكرام يحصدون اليوم معكم ما زرعتموه في نفوسكم الطيّبة من العلم والمنهجيّة وبذور الريادة والمحبّة. عهدكم اليوم أن تكونوا محافظين على قِيَم الجامعة اليسوعيّة وعلى روح المئويّات الثلاث، من أجل لبنان الوطن الصغير ذي القلب الكبير بمحبّته، لبنان رسالة الحريّات والعدالة والإيمان.

صاحبَ الفخامة،

إنّ حضورَكم بيننا ومعنا في حفل تخريج طلاّب كليّاتنا في ذكرى مئويّاتها، تعبيرٌ عن الاهتمام البالغ الذي لطالما أوليتموه شبيبةَ لبنان، قادة الغد، وهو فعلُ إيمانٍ بطاقاتهم الخلاّقة، وبدورهم الحاسم في رسم مستقبلٍ زاهرٍ لوطننا، وبقدرتهم على محاربة الفساد، وبناء دولة الحقّ والمؤسّسات، على أسس العيش المشترك، ومبادئ الديموقراطيّة، والعدالة، والإنماء المتوازن، وتكافؤ الفُرَص، والمساواة.

فاسمحوا لي، باسم هؤلاء الشباب، وباسم أوليائهم، وباسم أسرة جامعة القدّيس يوسف، أن أُعربَ لفخامتكم عن شكرنا الحارّ على احتضانكم تطلّعاتِ الشباب وآمالَهم ، وعلى جهودكم الهادفة إلى توفير غدٍ مشرقٍ لهم. إنّنا نقدّر، في هذا الإطار، حِرصَكم على تعزيز قِيَم الانفتاح، والحوار، والوئام، والتعاضد، ونبذِ آفات الانغلاق، والتعصّب، والتفرقة. نحن نعرف أنّ وطنَنا يجتاز مرحلةً دقيقةً وعَصيبة، ولكنّنا نعوّل على حكمتكم وشجاعتكم، في البلوغ به إلى شاطئ الأمان. ونَرجو أن تُوفَّقوا، بالتعاون مع جميع مختلف المرجعيات وأصحاب النوايا الحسنة، في تمكين الوطن من مجابهة المخاطر والتحدّيات، والخروج من عين العاصفة، غنيّاً بتنوّعه ووحدته، سيّداً، حُرّاً، كريماً.

عشتم يا صاحبَ الفخامة،

عاشت دورة المئويّات، عاشت جامعة القدّيس يوسف وعاش لبنان.